تأملات في سورة العصر [٤٠٤]

لا معنى للتواصي إذا خلت المحاولات من الإخلاص

د. صدقي رياض
فرجينيا - أمريكا

قال الله تعالى ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾

ما معنى التواصي، التواصي هو مشاركة مجموعة من الناس مشاركة إيجابية في التناصح والتذكرة كل يوصي الآخر والكل يذكر الآخر بأهمية أمر ما وبضرورة الالتزام به.

ولا معنى للتواصي إذا لم تكن المحاولات خالصة على المستوى الذاتي قبل أن تنتشر على المستوى الاجتماعي. وحتى يكون التواصي مقبولا وناجحا هناك عدة شروط يجب توافرها:

أولا: أن يكون الأمر المتواصى به أمرا جليلا متفقا عليه يؤمن به كل أفراد المجموعة بلا اختلاف.

ثانيا: أن يحاول كل فرد الالتزام بهذا الأمر قدر جهده وباخلاص وتفان - وإلا فكيف له أن ينصح الناس وينسى نفسه... كيف يذكر الآخرين وهو لاه وغير ملتزم.

ثالثا: أن تكون الجماعة متفاهمة متحدة متكاتفة متفقة في الهدف ومتفقة في المصير وأن تجتمع هذه الجماعة على ضرورة الالتزام بالأمر المتواصى عليه.

التواصي الذي هو من شروط فلاح الإنسان يتطلب قيام مجتمع قوي متكاتف وكيف يكون فلاح الإنسان في غياب المجتمع وغياب هذه المقومات وبماذا نتواصى ؟ بالحق والصبر.

الحق هو الله - هو شريعة الله - هو السنن الكونية التي خلقها الله هو كل شيء صادق وحقيقي أقره الله - هو كل واقع أراده الله هو العدل هو البر هو التقوى هو العلم هو الحقيقة هو الفضيلة هو ما هو صالح هو كل ما أرشد إليه الاسلام والتواصي بالحق، هو التمسك بكل هذا وإتقانه على مستوى الفرد والتناصح والتذكرة بضرورة هذا بين أفراد المجتمع. هو الأمر بالمعروف وهو النهي عن المنكر هو التمسك والتواصي بالفضيلة والامتناع والتناهي عن الرذيلة.

وكيف يكون فلاح الانسان إذا لم يكن هناك التواصي بالحق، وكيف يكون فلاح المجتمع وفلاح الانسانية إذا لم يكن هناك التواصي بالحق ولا يكون الالتزام ولا التواصي بالالتزام بدون الصبر، الالتزام بالصبر، والتواصي بالصبر كيف يكون المجتمع بدون صبر كيف يكون الصلاح والطاعة بدون صبر، كيف تكون العبادة والالتزام بالفضيلة، بدون صبر نصبر في طاعة الله ونصبر على قضاء الله ونصبر في سبيل الله الصبر ضروري وصبر للفرد في عمله الصالح في عبادته لربه في جده وكسبه في تحصيله للعلم في معاملاته الاجتماعية والأسرية، في تعرضه للطبيعة والكون حوله في تعامله مع سائر خلق الله من نبات وحيوان وجماد. والتواصي في الصبر هو تكافل اجتماعي، يعين بعضنا البعض على حسن عبادة الله نعين بعضنا البعض على تحمل مشاق اقتصادية أو حل مشاكل أسرية أو اجتماعية نعين بعضنا البعض ويواسي بعضنا البعض على تقبل قضاء الله وقدره.

هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هكذا نرى شمولية صورة العصر هكذا نرى بلاغتها وروعتها.

همم الرجال وبا

فارس ملأ الدنيا نصراً وه

يختال الجواد عجباً ويتيه ويهتز طرباً تحت ركاب فارسه أبي سليمان الذي قال فيه الفاروق: « على مثل أبي سليمان فلتبك البواكي» .. ويسمع مقالة فارسه، يقول:

«صه يا هذا، بل قل ما أكثر العرب وما أقل الروم، إنما ينتصر القوم بأصبر الفريقين»، ويمضي الفارس: «والله ما من شيء أحب الى نفسي من أن تزف إلي عروس بكر أو أن ابشر بغلام أو أن أصبح العدو في ليلة جليدية».

الله أكبر، الله أكبر، لله درك يابن الوليد، أي همة وأي عزيمة هذه التي تعشق الكر والفر مع خيوط الفجر في وقت يغطي الجليد السهل والجبل. من أين هذه الهمة ومن أين هذه العزيمة، من أين جاء هذا العزم والمضاء لهذه النفس الابية الوثابة؟

هذه صناعة الإسلام تصنع هماً للرجال وعزماً ومضاء وشوقاً الى الجنان فمن أبو سليمان هذا، وما هي حكايته؟

أبو سليمان هذا هو سيف الله المسلول، هو خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي انسل بجيش المسلمين من مؤته لينقذ الجيش المسلم بمكره ودهائه وخداعه لدهاة جيوش الروم، مما استحق معه ثناء المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي سماه « سيف الله المسلول» هذا السيف الصارم الذي سله الله ورسوله على أعداء هذا الدين.

طار شوقاً الى لقاء مليون جندي رومي حشدوا كل قواتهم وعددهم وعتادهم في اليرموك جاءت الاخبار الى الصديق في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عن حشود للروم في مواجهة الجيوش المسلمة التي تتطلع شوقاً وحنينا الى تحرير بيت المقدس، الارض التي بارك الله فيها وبارك حولها وجعلها مهوى الافئدة بتلك الرحلة المباركة للنبي المصطفى المبارك، رحلة الاسراء والمعراج، الرحلة الخالدة في كتاب الله الخالد الى أن يرث الله الأرض وما عليها.

جاءت الاخبار الى الشيـ صاحب رسول الله صلى الله عل وسلم، فاهتزت المدينة بتل الأخبار عن تلك القوى الضار التي توشك أن تجتث اول الاخيار، تلك الفئة المؤمنة الت تتطلع الى المسجد الاقصى في بي المقدس، ولكن الشيخ الذي ت تصاغرت الجبال الراسيات أ ايمانه ما زاد على ان قال: «وال لانسين وساوس الروم الخالد

الله أكبر ، الله أكبر .. صغ الصديق بيقين كانه الاعج صغر آمال وطموحات الر باجتثاث العصبة المؤمنة الى الوساوس والاحلام، ولكن بـ بسيف الله المسلول، بابن الول فكتب الى سعد بن أبي وقا وهو يوم ذاك في القادسية ليج خالد بن الوليد على رأس كت من المهاجرين والانصار لا يـ قوامها على سبعة آلاف فار لنجدة ابي عبيدة في اليرموك.

ولان اولئك الاخيار الاطها يضيعون الاوقات، فما هو الا سار ابن الوليد الى الغاية ا قيل فيها..

ونفس الشريف لها غايتان

ورود المنايا ونيل المن

سار ابن الوليد، بل قل ومن معه شوقا الى اليرموك.

طاروا الى اليرموك فطار الهـ الاعظم للروم والذي قاد مل جندي للفتك بالمسلمين، فما الا أيام حتى ينسحب هرقل ا من أرض اليرموك مغادرا رجعة، وليعتلي ربوة وهو

قال فيه الفاروق:

«على مثل أبي سليمان فلتبك البواكي»

في الوطن الإسلامي آيات وأحاديـ